اوبـــامـــا .. وجـــرأة الأمل

الســـيـــاســـة الخـــارجـــيـــة الامـــريـكـيـة عـبـــر العقـــود

(٦)

ترجمة : ابتسام عبد الله

باراك اوباما

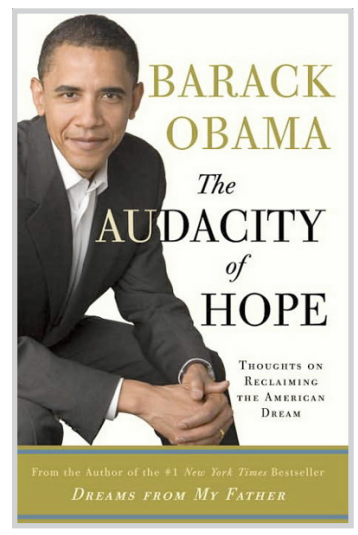

العالم خلف حدودنا

الجزء الاول

من الصعب في حقل العلاقات الدولية الاستقراء والاستنتاج من تجارب دولة واحدة، اذ تختلف كل دولة عن الاخرى في التاريخ والجغرافية والثقافة والصراعات، ولكل واحدة منها وضع مختلف.
الخطوط الخارجية للسياسة الخارجية الامريكية في خلال الخمسين سنة الماضية من حيث: دورنا في تحرير المستعمرات السابقة وخلق مؤسسات دولية للمساعدة في تشكيل عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، ثم ميلنا الى قراءة الامم والصراعات عبر موشور الحرب الباردة والدعاية للرأسمالية على الطريقة الامريكية والشركات متعددة الجنسية ، واخيراً التسامح والتشجيع عندما تسنح الفرص للاستبداد والفساد وتعرية البيئة عندما يخدم ذلك مصالحنا اضافة الى تفاؤلنا بعد انتهاء الحرب الباردة من ان الصناعات الامريكية والانترنت سيؤديان الى انهاء الصراعات التاريخية.
ان النمو الضخم المتنامي للاقتصاد الاسيوي وازياد استياء الولايات المتحدة الامريكية من ذلك بوصفها القوة العالمية العظمى والوحيدة ، ان ادراك التحول الديمقراطي في الاقل، في مرحلة قصيرة ، لن يخفف من الكراهية العرقية والانقاسامات الدينية وعجائب العولمة قد تيسر التصعيد الاقتصادي وايضاً انتشار الاوبئة والارهاب. وبعبارات اخرى فان سجلنا مختلط . ليس في شرق آسيا فقط بل في العالم كله . ان السياسة الخارجية الامريكية ، كانت في بعض الاوقات بعيدة النظر تخدم في وقت واحد مصالحنا الوطنية ومثلنا العليا ومصالح الشعوب الاخرى، وفي اوقات اخرى، كانت تلك السياسة تقاد بشكل خاطئ مستندة على تصورات زائفة تتجاهل الطموحات المشروعة لشعوب دول اخرى، متجاهلة مصداقيتنا لتسعى الى عالم اكثر خطورة.
ومثل هذا الغموض يجب ان لايثير الدهشة لان السياسة الخارجية الامريكية كانت على الدوام خليطاً من نزعات للصراع ، ففي الايام الاولى للجمهورية كانت سياسة العزلة هي السائدة غالباً . الحذر والاحتراس من تدخل أجنبي وهي تتلاءم مع امة قد خرجت تواً من حرب استقلال. وفي خطابه الوداعي ، قال جورج واشنطن، "على امريكا البقاء بعيداً عن اوروبا.
ان الفاصل الجغرافي كما اكد سيمكن الامة الجديدة من النمو المادي بعيدا عن أي تدخل خارجي.
والاهم من ذلك ان الاصول الامريكية الثورية وشكل الحكومة الجمهوري النظام، هي عوامل تدفعنا للتعاطف مع تجاه اولئك الباحثين عن الحرية في اماكن اخرى وقد اهتم القادة الاوائل لامريكا يتجنب المحاولات المثالية الاسلوب لتصدير سياستنا او اطريقتنا في الحياة الى الخارج. وفي اشارة لجون كوينسي آدمز، فأن على امريكا عدم الخروج الى الخارج بحثاً عن وحش من اجل القضاء عليه، او لتكون "ديكتاتورة العالم".
لقد جعلت العناية الالهية ان تؤسس امريكا دولة جديدة وليس على اصلاح واحدة قديمة وقد حمتها بمحيط وثروات قارة، وبسبب ذلك فمن الافضل لها ان تخدم قضية الحرية بالتركيز على استقلالها وان تكون منارة الامل لشعوب اخرى في ارجاء العالم.
ولكن ان كانت شبهة التدخل الاجنبي قد انطبعت في الخواص البيولوجية لنا، فان نزعة التوسع . جغرافيا وتجاريا وايديولوجياً ، هي كذلك.
لقد بدأت الولايات المتحدة الامريكية ، مع انتهاء الحرب الاهلية، تسلك كدولة قوة لايمكن تجاهلها وذلك عبر توسيع الاسواق لبضائعها وتؤمن لنفسها المواد الخام الضرورية لصناعتها والعمل من اجل الحفاظ على الخطوط البحرية لتجارتها. لقد بدأت الولايات المتحدة في التطلع الى ما وراء البحار: الحقت بها وهاواي لتمنح نفسها موطئ قدم في المحيط الهادي.اما الحرب الاسبانية الامريكية فقد جعلت بورتريكو ، وغوام والفلبين تحت السيطرة الامريكية، وعندما احتج عدد من اعضاء الكونغرس على الاحتلال العسكري لأرخبيل يبعد عنا سبعة الاف ميل، احتلال سيشمل عدة الوف من الجنود الامريكيين ليسحقوا حركة استقلال الفلبين . رد احد الاعضاء قائلاً: ان ذلك الامر سيمنح الولايات المتحدة ومدخلاً الى الاسواق الصينية ويعني "تجارة واسعة وثروة سريعة وقوة ، وان الولايات المتحدة لن تسلك السبيل الذي اتخذته الدول الاوربية تجاه الدول التي احتلتها.
وقد اعلن بعد ذلك ، الرئيس الامريكي تيودور روزفلت ان بلاده لن تتدخل الا في الدول التي تشكل اهمية ستراتيجية بالنسبة لها مثل دول امرريكا اللاتينية والكاريبي.
اما في مطلع القرن العشرين ، فان الدوافع التي تحرك السياسة الخارجية الامريكية ، لاتختلف ، كما يبدو عن تلك التي تخص القوى العظمى: السياسة والتجارة ، وفي خلال الحرب العالمية الاولى، تجنب ويلسن التدخل الامريكي حتى أغرقت سفن امريكية من قبل الالمان، وغدا احتمال السقوط الاوروبي امراً لايقبل الحياد.
وما ان انتهت الحرب العالمية حتى بزغت امريكا قوة عظمى . قوة كما ادرك ويلسن ، يجب ان ترتبط بالسلام والثروة في اراض بعيدة.
اما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فقد ادركت امريكا ان لاوجود امن وسلام لأي امة او أي شخص . في عالم يحكم بمبادئ العصابات ، وكان من نتائج ذلك ان اتيحت للولايات المتحدة الامريكية فرصة لتطبيق تلك الدروس في سياساتها الخارجية، ومع الدمار الذي حل في اوروبا واليابان والاتحاد السوفيتي ، إثر معاركه في الجبهة الشرقية ، بدا يشير الى نيته لنشر شعاره والشيوعية الدولية الى ابعد نقطة يمكن الوصول اليها في العالم.
ما ان ماسعت اليه الولايات المتحدة بعد ذلك هو ايجاد حلفاء مستقرين، يشاركونها الافكار الديمقراطية وسيادة القانون واقتصاد السوق، حلفاء كاولئك عسكريا واقتصاديا ، سيؤمن الامبريالية الامريكية ، وكان هناك ايضاً الاهتمام الامريكي للعمل مع دول اخرى من اجل بناء مؤسسات عالمية لتشجيع وتقديم النموذج الامريكي في شتى مجالات الحياة . ولم يكن ذلك بسبب افتراض ساذج من ان القوانين الدولية والمعاهدات وحدها ستضع نهاية للصراعات بين الامم او تقلل من الحاجة الى العقلية العسكرية الامريكية ، ولكن بسبب تعزيزها للنماذج الامريكية، وقد سعت الولايات المتحدة الى اعلان رغبتها في التحفظ بالنسبة لعرض قوتها . كلما قل عدد الصراعات التي يمكن نشوبها ، وستظهر بالتالي أفعالنا اكثر شرعية في أعين العالم، في حال بدأنا بعمل عسكري.
وهكذا في خلال اقل من عقد زمني بدأ نظام عالمي جديد، فهناك السياسة الامريكية لاحتواء التوسع الشيوعي ، مدعومة ليس من قبل القوات الامريكية فحسب بل ايضاً باتفاقات امنية مع الحلف الاطلسي واليابان، مضافا الى ذلك خطة مارشال لاعادة بناء الاقتصاد المنهار، واتفاقية برتين وودز والاتفاقية العامة للتعريفة والتجارة من اجل وضع قواعد التحكم في التجارة العالمية، والتأييد الامريكي لاستقلال المستعمرات الاوروبية السابقة وتعاون صندوق النقد الدولي والبنك الدولي (لمساعدة الدول التي نالت استقلالها اخيراً) واخيراً الامم المتحدة لتكون المنتدى العام للامن المشترك والتعاون الانمائي.
ونستطيع اليوم ، بعد ستين عاماً، رؤية نتائج المشروع الهائل لما بعد الحرب ، نتيجة ناجحة للحرب الباردة، تجنب الكارثة النووية ، النهاية الفعالة لانهاء الصراع بين القوتين العسكريتين الكبيرتين ، ومرحلة جديدة للنمو الاقتصادي في الداخل والخارج. ، ان السياسة الامريكية فيما يخص "الاحتواء" تضمنت تأسيس جيش ضخم، وقد تمكن الثلاثي الحديدي المكون من البنتاغون والدفاع والكونغرس من تشكيل السياسة الخارجية لامريكا.. وكان لوجود نوع من التوافق الداخلي بشأن السياسة الخارجية بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي اثره وغدا عامل القوة في امريكا بعد الحرب العالمية الثانية.
ومع انقضاء الحرب الباردة ببطء ، اخذت العناصر الرئيسة لذلك التوافق السياسي بالتآكل ثم جاءت "المكارثية" لتقضي على الحياة العملية للمئات من المواطنين وتحطيم المعارضة ، وتغيرت الامور في الداخل، فالرئيس كنيدي سيلوم الجمهوريين على "فراغ الصواريخ" وسيجد جونسون، انهم لم يكونوا اقوياء بما فيه الكفاية ضد الشيوعيين وبدأت المناقشات تمتد بين الطرفين السياسيين الجمهوري والديمقراطي والمبادئ المثالية التي وعدنا بتصديرها للعالم وبدأت الامور تتغير الى خلافات داخلية.
ان كل تلك العوامل التي سبق ذكرها، اتضحت في مرحلة الحرب الفيتنامية ، وكانت من النتائج الكارثية لذلك الصراع، فقدان عناصر الضمان لسياساتنا وايضاً فقدان الاحترام لقواتنا المسلحة (فقد اقتضى استعادة ذلك جيلاً من الزمن). وربما ان الخسارة الكبرى في تلك الحرب كانت تلاشي علاقة الثقة بين الشعب الامريكي وحكومته وبين الامريكيين وانفسهم، وذلك عندما بدأت تتدفق اكياس جثث الجنود القتلى ويزداد عددها و تملأ صورها صفحات الصحف. لقد ادرك الشعب الامريكي ان الحكومة لاتقول الحقيقة دائماً ، وبدأت المعارضة في الداخل ليس ضد الحرب الفيتنامية فحسب بل ضد السياسة الخارجية الامريكية ، وبدأ ايضاً الهجوم على المؤسسات الامريكية السياسية الاقتصادية التي تمثل العنف والعنصرية والرأسمالية والامبريالية ، وبدأ اليمينيون يأسفون ليس من اجل خسارة الحرب في فيتنام فقط بل ايضاً لانهيار الموقف في داخل الولايات المتحدة الامريكية.
اما في السبعينيات ، فقد كانت فترة انقسام بدلاً من ان تكون توافقاً ، وكانت تلك هي سنوات نيكسون وكيسنجر ، فترة كانت السياسة الخارجية فيها تحمل اتجاهات جيدة ولكن اهميتها تضاءلت بسبب السياسة الداخلية وتأثرت ايضاً بحملة الهجوم الجوي على كمبوديا، وكانت اعوام كارتر الديمقراطي تؤكد حقوق الانسان والاخلاق والدفاع القوي لولا الصدمات التي جاءت بسبب النفط والاذلال الذي حدث إثر ازمة الرهائن الايرانية والغزو السوفيتي لافغانستان. وعندما تسلم رونالد ريغان الحكم، كان الخط الرئيس الواضح لسياسته الخارجية هو كرهه الشديد للشيوعية متجاهلاً المآسي الاخرى في العالم كافة.
لقد كانت سياسته تجاه العالم الثالث وتأييده للحكم العنصري في جنوب افريقيا وغزو غرينادا اضافة الى قضية ايران. كونترا . من الامور التي اثارت حسرتي ، كنت انذاك قد بلغت سن الرشد ، طالباً في جامعة كولومبيا ، ادرس العلاقات الدولية، وكديمقراطي احسست بالاسف للتأثير الذي تركته سياسته الخارجية على العالم الثالث.
اما جورج هـ . و . بوش ، فقد عاد الى السياسة الخارجية التقليدية، ونجح في التعامل مع حرب الخليج الاولى، اما بالنسبة لبيل كلنتون فان الحكمة اقتضت ان سياسة الحرب الباردة التي اتبعتها امريكا بعد الحرب العالمية، استبدال الدبابات بالتجارة وحماية ارواح الناس. وقد ادرك كلينتون ان العولمة لاتتضمن تحديات اقتصادية بل امنية ايضاً: البلقان ، ايرلندا الشمالية، امريكا اللاتينية ، افريقيا والاتحاد السابق.
ثم جاء بعد ذلك يوم الحادي عشر من ايلول واحست امريكا انها انقلبت راساً على عقب.

" الفكـــر الاجتـمـاعـي " .. و إشـــارات الـطـــريـق الـعـــاطـفـيـــة

الكتاب / الفكر الاجتماعي
المؤلف / دانييل غولمان

ترجمة / عادل العامل

و أنا أذهب إلى المدرسة في إنكلترة خلال الخمسينيات من القرن الماضي ، يقول كاتب المقال بول هاريس ، صرت أتقبل فكرة أن القدرة الفكرية أمر لا يتجزأ إلى حد ما - فأنت تمتلك قدراً كبيراً منها أو تمتلك القليل . و في الحقيقة . كان نظام المدرسة في المملكة المتحدة يعزز تلك الطريقة في التفكير . thinkingففي سن ١١ ، كان جميع الأطفال في المدارس الابتدائية الرسمية يؤدون ما يدعى بـ ١١+ اختبار، و كان يجري تخصيصنا للمدارس الثانوية المختلفة اعتمادا على ما إذا كنا " نجتاز " أو " نفشل " . و بعد ثلاثة عقود من الزمن ، قدم هوارد غاردنر قضية مقنعة للتعدد الفكري في كتابه (أطر العقل Frames of Mind)و . جادل ضد الفكرة المركزية التي كنا ، نحن الأطفال الانكليز ، نقاس بها- فكرة ج g، و هو عامل عام generalيعم كل أوجه الفكر . intelligence و بدلاً من هذا ، اقترح غاردنر مجموعة من سبعة عقول (أو أنماط من الفكر) متميزة نسبياً . فالأفراد ، كما ادعى ، يبدون ذرىً و ودياناً عبر تلك الميادين السبعة . و يمكن أن تتكشف المعجزات الرياضية عن عقل أو فكر بيشخصي منخفض (أي ما يتعلق بالعلاقة بين الأشخاص) ؛ و يمكن أن تكون هناك قدرة شفهية عالية لدى الذين يواجهون التحدي رياضياً ؛ و قد تظهر لدى التلاميذ ذوي القدرات الرياضية و الشفوية المعتدلة برغم إظهارهم موهبة موسيقية استثنائية . و كان الكثير من المربين مقتنعين بدليل غاردنر النفساني العصبي الذي يبين أن أجزاء الدماغ تتخصص في ميادين مختلفة –مكاني spatial، شفوي ، موسيقي ، و هكذا –و كذلك بدراسات الحالة الملزمة لدى أفراد ذوي مواهب جلية في ميدان من الميادين و لكن أداءهم بائس في غيره . و مع هذا ، و برغم نجاحها و تأثيرها في حقل التربية و التعليم ، فإن رسالة غاردنر لم تنجز الكثير من الجذب في العالم الأوسع . و في عام ١٩٩٥ ، تبنى دانييل غولمان ، عالم النفس و الكاتب العلمي لنيويورك تايمس ، تأكيد غاردنر على التخصص العقلي. و خلافاً لغاردنر ، مع هذا ، أصر على أن المقاييس التقليدية للعقل ، سواء فهمناها بصفتها سمة موحدة أو مقسمة إلى سبعة أقسام ، لا تعير اهتماماً كافياً لدور العاطفة أو الانفعال emo-الحاسم . و بسبب التركيز في التربية و التعليم من حضانة الأطفال و عبر كلية التخرج في الفكر المعرفي المحض –سواء كان شفوياً ، أو رياضياً ، أو مكانياً أو منطقياً –فإن دراسة و تنشئة العقل أو الفكر العاطفي ، كما أكد ، قد جرى إهماله . و كان لتركيز غولمان على العاطفة ، و دورها المحوري في النجاح خارج الصف المدرسي ، إغراء هائل - و فيما وراء الدوائر التربوية . فكان (الفكر العاطفي Emotional Intelligence)على قائمة أفضل المبيعات من الكتب على مدى سنة و نصف ، و قد بيعت منه أكثر من ٥ ملايين نسخة ، و أدخل تعبير EQ في اللغة الشائعة .
و ينطوي كتاب غولمان الجديد ، (الفكر الاجتماعي Social Intelligence)، على موضوعتين. الأولى ، أنه يضع الفكر العاطفي بوضوح أكثر كثيراً في سياق العلاقات المتبادلة بين الأشخاص. فإذا كانت سمة العقلاني على نحو عاطفي هي إدراك و تنظيم النفس self، فإن سمة العقلاني على نحو اجتماعي هي إدراك الناس الآخرين و التحسس تجاههم . أما الموضوعة الثانية ، فإنه يربط اقتراحاته المتعلقة بالفكر الاجتماعي بالمجال المتفتح لعلم الأعصلب الاجتماعي . و قد اعتمد غاردنر بصورة أولية على نتائج مستخلصة من ضرر في الدماغ –ملاحظاً ، على سبيل المثال ، ما يحدث لشخص مصاب في النصف الأيسر ، مقارنةً بالأيمن. و بعد ثلاثة عقود ، فإن غولمان قادر على أن يعتمد على الانفجار الراهن في الدراسات " المتصورة " imagining في مجال علم الأعصاب الاجتماعي. فالاجزاء المنوعة لدماغ سليم تراقب بينما يعطى صاحبها ، المدفون مؤقتاً في سكانر ، معلومات مشحونة عاطفياً. وغولمان توّاق لأن يستمد معلومات متضمنة من معطيات هي في الوقت الحاضر موحية أكثر من كونها محددة. و مع هذا ، فهو في جهوده لجلب النظام إلى الترتيب المشوه من الأدلة ، يستحق الثقة لكونه شاملاً و حسن الاطلاع بشأن الاتجاهات البارزة .
إن الحيَوَات العاطفية للبشر مزيج معقد من ردود الأفعال نصف الواعية ، المستخرجة سريعا تجاه الإشارات الخاصة بالعلاقة بين الأشخاص و انعكاس أبطأ و أكثر وضوحاً على ما نشعر به ، كيف كنا نشعر في وقت أبكر ، و ملاءمة تلك المشاعر . و يقترح غولمان مسلكين دماغيين متميزين نسبياً لتفسير هذا المزج :" طريق منخفضة " للتسيير السريع لعمل إشارات العلاقة ما بين الأشخاص ، و لتكن نوبات بكاء من الأسى ، أو ابتسامات جذابة، أو احتضان يد مواسية ؛ " وطريق عالية " تسمح بإدراك ، و اتصال ، و تنظيم لخبرتنا العاطفية ، أكثر انعكاساً .
و يؤكد غولمان أن إشارات الطريق المنخفضة العاطفية تقيم بشكل فعال ، عند نقلها تكرارا بين شخصين ، رابطة " دماغ لدماغ brain-to-brain "تعمل كسيف ذي حدين .
أما الطريق العالي ، أو العام high road، فهو كما يفسره غولمان يتضمن مجموعة متميزة من العمليات العصبية التي تسمح بعمل العاطفة مجدداً على مستوى آخر . و في مسار التطور ، نبدأ بأن نكون مدركين لمشاعرنا ؛ نكتسب القدرة على وضع تلك المشاعر الواعية في كلمات ؛ و ونكون قادرين بصورة متزايدة على ممارسة بعض السيطرة على التعبير ، و استمرار ، و شدة عواطفنا . و ننتهي كذلك بنظرية عمل بشأن سايكولوجيا العاطفة التي تتجاوز حل ونقل الإشارات غير الفوية. فندرك ، مثلاً ، أن العاطفة أو الانفعال الذى يظهره شخص ما على وجهه قد لا يكون متفقاً مع الكيفية التي يشعر بها حقاً . كما ندرك أنه يمكن أن يشعر بعدة عواطف متنازعة في الوقت نفسه ، و نحسب حساباً لحقيقة أنه مهما كانت العاطفة التي قد يعبّر عنها – أو يتقنع بها –الآن ، سوف تتبدد بالتأكيد تقريباً مع مضي الوقت . و يبدو من غير المرجح أن تمتلك اية كائنات أخر هذه القابلية للتفكير و التبصر السايكولوجي . مثلما ليس هناك ، بالتأكيد ، كائنات أخر تعتذر أو تقول : " أحبك " ! إن تمييز غولمان بين الطريقين المنخفضة و العالية يوفر استعارةً metaphorمفيدة لتأليف و تنظيم مجموعة كبيرة من البحوث . و مع هذا ، فإن الوجود المزعوم لهذين المسلكين العصبيين يخلق مشكلة رئيسة لموضوعته المركزية : طبيعة و أداء الفكر الاجتماعي . و الصعوبة هي في تقرير مدى الدقة التي تقاس و تضم بها مهارات الطريقين المنخفضة و العالية . و يمكن أن يكون أحد الحلول هو القول بأن الفكر الاجتماعي مجرد فكر عام –كما يقاس بواسطة اختبار IQالتقليدي - زائداً نوع مهارات الطريق المنخفضة التي يؤكد ه غولمان فيما يتعلق بسير العملية الحدسية السريعة لإشارات علاقة ما بين الأشخاص . و على كل حال ، فإن ذلك الحل لن يفلح . و في كتابه ، ((Descartes Error، يصف عالم النفس العصبي أنطونيو داماسيو ابتلاء المرضى بضرر في القشرة الأمامية –منطقة دماغية مهمة جدا لمهارات الطريق العالية ، الانعكاسية . و مثل هؤلاء المرضى معروفون بصعوباتهم في علاقات ما بين الأشخاص –و هم من المحتمل أن يكونوا غير حساسين في المواقف الاجتماعية و متغيرين عاطفياً . و من نواح كثيرة ، يفتقرون إلى الفكر الاجتماعي . و في الوقت نفسه ، يستطيع هؤلاء المرضى أن يحسنوا الأداء وفقاً لمعايير IQالقياسية .
و هناك طريقة عمل مختلفة –طريقة تتفق و موقف غولمان –و هي التفكير بالفكر الاجتماعي باعتباره مزجاً لمهارات الطريقين المنخفضة و العالية ، بكل مجموعة تكون متميزة عن IQعند قياسها بصورة اعتيادية. و مع هذا ، فإنه يبدو تفكيراً دالاً على الرغبة من جانب غولمان لجمع هاتين المجموعتين من المهارات معاً. وهو لا يقدم دليلاً على أنهما ترتبطان . وهناك ، بديهياً ، كما يبدو واضحا ، أمثلة يومية على انفصالهما . فالصديق ، أو الصديقة ، الذي يتسم بالفقر في تدبير أمر علاقاته الاجتماعية الطويلة الأمد يمكن مع هذا أن يكون شخصاً ما متناغماً على نحو جدير بالملاحظة مع مشاعرنا الحالية . ويمكن أن يكون الأطفال حساسين بشكل شديد تجاه الأمزجة المتغيرة لدى القائمين على رعايتهم من الأشهر الأولى ، إلا أن تلك الحساسية ليست بضمانة لأداء علاقات عاطفي ناضج في حياة لاحقة . و هكذا ، في النهاية ، يسقط كتاب غولمان هذا ضحية لمنطقه التشريحي . إذ ما إن نبدأ بمضاعفة االفكر -intel ligence، كيف لنا أن نعرف متى نتوقف ، و كيف نعيد الأمور معاً إلى سابق حالها ؟

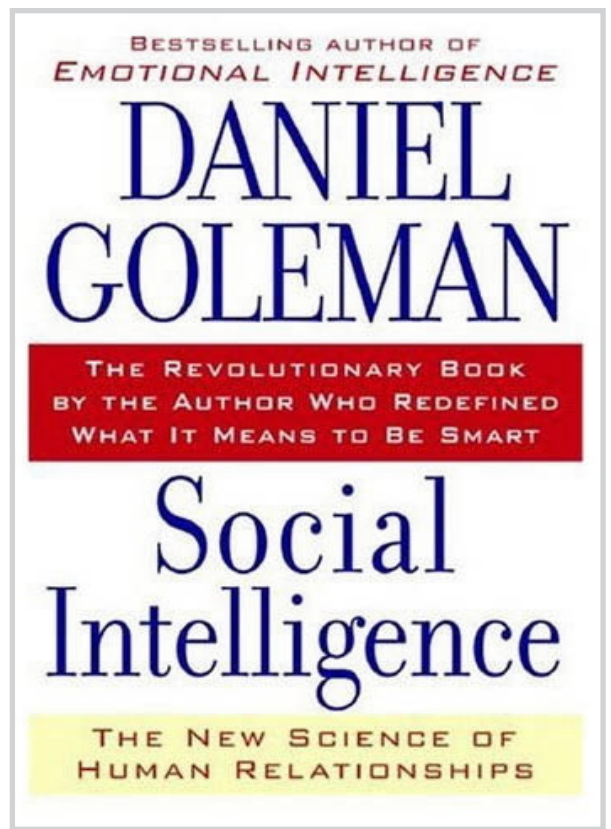

عن مجلة Slate /